



With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"بوا" هو النصّ الأسبوعي الثالث من كتاب "شموت" (سفر الخروج) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المَقْطَع العاشر وينتهي بالآية السادسة عشرة من المَقْطَع الثالث عشر.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

نَحْوُ الْأُفُقِ الْبَعِيدِ

لكي نفهم الدرس الفريد في القيادة الذي يقدّمه لنا النصّ الأسبوعي "بوا"، كثيرًا ما أطلب من جمهوري، في المحاضرات التي ألقيتها، أن يقوموا بتجربة ذهنية، فأقول لهم: فليَتَخَيَّلْ كُلُّ واحدٍ منكم أنّه قائدُ شعبٍ عاش في المنفى لأكثر من قرنين من الزمان، تعرّض خلالها للعبودية والاضطهاد. ثمّ بات هذا الشعب الآن، وبعد سلسلة من المعجزات، على وشك أن ينالَ حريّته. وبعد أن يجمع كلُّ واحدٍ منكم أبناء شعبه من حوله، ويستعد لمخاطبتهم، واللهفة تعترّهم لسماع ما سيقوله قائدهم، ستجدون أنفسكم أمام لحظةٍ فارقة، لن تُمحي أبدًا من ذاكرة شعبكم. وهنا ستواجهون سؤالًا مصيريًا: ما الذي سنقوله لشعبنا؟

سيجيب معظم الناس عن هذا السؤال قائلين: بالطبع، سأكلّم عن الحرّية. وهذا ما فعله الرئيس الأمريكي أبرهام لنكولن في خطاب غيتيسبيرغ الشهير، حين استحضّر ذكرى "أمةٍ جديدة، وُلدت من رحم الحرّية"، وتطلّع إلى "فجرٍ جديدٍ للحرّية".¹ بينما سيجيب آخرون بالقول إنّ على القائد أن يُلهمّ الناس برسم صورة الأرض الموعودة التي تنتظرهم، ذلك البلد الذي "يَفِيضُ اللَّبَنَ وَالْعَسَلَ". وثمة من سيقول: لا، بل الأحرى بالقائد أن يُحذّر الناس من المصاعب والتحديات التي ستعترضهم في "الطريق الطويل نحو الحرّية"، وفق تسمية نيلسون مانديلا.²

1. Abraham Lincoln, "The Gettysburg Address" (Soldiers' National Cemetery in Gettysburg, Penn., Nov. 19, 1863).

2. Nelson Mandela, *Long Walk to Freedom: The Autobiography of Nelson Mandela* (Back Bay Books, 1995).

أي من تلك الأمثلة التي ذكرت سابقًا كان يُمكن أن يكون خطابًا عظيمًا لقائدٍ عظيم. لكن، وإرشادٍ مباشرٍ من الله عزَّ وجلَّ، لم يتحدَّث نبيُّ الله ورسوله موشيه عن أيٍّ من تلك الأمور، وهو ما جعل منه قائدًا فريدًا لا يُشبهه أحد. فإذا ما تأملنا النصَّ الأسبوعي "بوا"، سنجد أنَّ نبيَّ الله ورسوله موشيه تمحور حديثه في ثلاث مَراتٍ حول فكرةٍ واحدة، وذلك عندما تحدَّث عن الأطفال، والتعليم، والمستقبل البعيد. إذ قال في حديثه، كما ورد في الآيتين السادسة والعشرين والسابعة والعشرين من المقطع الثاني عشر من سفر الخروج:

"وَيَكُونُ، إِذَا قَالَ لَكُمْ بُؤُوكُمْ، مَا هَذِهِ الصُّنْعَةُ لَكُمْ؛ قُولُوا، هُوَ ذُبُحٌ إِثْنَاءَ لِلَّهِ، كَمَا أَرَى لِبُيُوتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمِصْرَ، إِذْ صَدَمَ الْمِصْرِيِّينَ وَخَلَصَ بُيُوتَنَا".

وقال أيضًا ما ورد في الآية الثامنة من المقطع الثالث عشر من سفر الخروج:

"وَأَخِيرَ ابْنُكَ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَائِلًا. هَذَا بِسَبَبِ مَا صَنَعَ اللَّهُ لِي، فِي خُرُوجِي مِنْ مِصْرَ".

ثم قال: "وَإِذَا سَأَلَكَ ابْنُكَ، غَدًا قَائِلًا، مَا هَذَا؛ فَقُلْ لَهُ، بِشِدَّةٍ يَدٍ أَخْرَجَنَا اللَّهُ مِنْ مِصْرَ، مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ"، كما ورد في الآية الرابعة عشرة من المقطع الثالث عشر من سفر الخروج.

إنَّ ما فعله نبي الله ورسوله موشيه كان عكس المتوقع ومن أكثر ما يثير الدهشة في تاريخ القيادة، إذ لم يتكلَّم عن اليوم ولا عن الغد القريب، بل أولى اهتمامه بالمستقبل البعيد، متمثلًا في مسؤوليَّة الآباء في تعليم أبنائهم. حتَّى أنَّه يُلمَح إلى ما أصبح ركيزةً في التقليد اليهودي، وهو أنَّنا يجب أن نشجِّع أطفالنا على طرح الأسئلة، لكي لا يُصبح نقل التراث اليهودي مجردَ عمليَّةٍ تلقينٍ آليٍّ، بل حوارًا نابضًا بالحياة يتفاعل خلاله الآباء والأبناء معًا.

وهكذا، أصبح اليهود الشعب الوحيد في التاريخ الذي ربط بقاءه بالتعليم. وقد أصبح أقدس واجبات الأهل هو تعليم أبنائهم. بل غدا عيد الفصح اليهودي نفسه بمثابة ندوةٍ مستمرةٍ في نقل الذاكرة الجماعيَّة وتوريثها للأجيال القادمة. وتحوَّلت اليهوديَّة إلى ديانةٍ أبطالها المعلِّمون، وشغفها هو التعلُّم، وحياتها حياةُ الفكر والعقل. وبخلاف البابليين الذين بنوا الزقورات، والمصريين الذين بنوا الأهرامات، واليونانيين الذين بنوا البارثينون، والرومان الذين بنوا الكولوسيوم، فإنَّ اليهود شيَّدوا المدارس، ولهذا السبب، هم وحدهم، من بين جميع حضارات العالم القديم، ما زالوا أحياء وقويين، وما زالوا يواصلون رسالة أسلافهم، محافظين على كامل تراثهم، دون أن ينقص منه شيء.

لقد كانت بصيرة نبيِّ الله ورسوله موشيه عميقةً بحقٍّ، فقد أدرك أنَّه لا يمكن تغييرُ العالم عبر المظاهر الخارجيَّة وحدها، مثل العمارة الضخمة، والجيش والإمبراطوريات، والقوَّة والسلطة. فكم من إمبراطوريَّةٍ قامت ثمَّ زالت، بينما بقي حالُ الإنسان على ما هو عليه، فلم تُشفَّ جراحه، ولم تتحرَّر روحه من سجنها؟

لا يوجد سوى طريقٍ واحدٍ فقط لتغيير العالم، وهو التعليم. ولا بدَّ أن نُعلِّم أطفالنا معنى العدل، والاستقامة، والرأفة، والرحمة. لا بدَّ أن نُربيهم على أن الحرِّيَّة لا تُصان إلا من خلال العادات والقوانين التي تُرسِّخ الانضباط الذاتي وكبح الشهوات. كما يجب أن ندَّكرهم دائميًا بدروس التاريخ، مثل أنَّنا: "كُنَّا عبيدًا لفرعون في مصر"، لأنَّ من ينسى مرارة العبوديَّة يفقد، في نهاية المطاف، عزمته وشجاعته للسعي وراء الحرِّيَّة. ولا بدَّ أيضًا أن نُفسِّح لهم مجالًا لطرح الأسئلة، والنقد، والمناقشة، إذ لا بدَّ من احترام الأطفال إذا أردنا منهم أن يحترموا القيم التي نريدهم أن يتبنَّوها.

هذا درسٌ لم تتعلَّمه معظمُ الثقافات حتَّى اليوم، بعد أكثر من ثلاثة آلاف عام. فما زالت الثورات والاحتجاجات والحروب الأهليَّة تندلع، بدافع الاعتقاد بأنَّ إسقاط طاغيةٍ أو تنظيم انتخاباتٍ ديمقراطيَّةٍ كفيلاً بالقضاء على الفساد، ومعاينة الحرِّيَّة، وتحقيق العدالة وسيادة القانون. لكن، لا يزال الناس يُفاجؤون ويتألَّمون حين يُدركون أنَّ شيئًا من هذا لا يحدث، وأنَّ كلَّ ما يحدث في النهاية هو تبدُّل الوجوه في أروقة السلطة.

وفي أحد أعظم خطابات القرن العشرين، قال القاضي الأمريكي البارز، ليند هاند:

"كثيرًا ما أتساءل إن كنا نُعلّقُ آمالنا أكثر مما ينبغي على الدساتير، والقوانين، والمحاكم. إنّها آمالٌ كاذبة؛ صدّقوني، آمالٌ كاذبة. إنّ الحرّيّة تسكن قلوب الرجال والنساء؛ وإذا ماتت هناك، لا دستور ولا قانون ولا محكمة يمكنها أن تُنقّذها؛ بل إنّ أيّا منها لا يستطيع حتى أن يفعل الكثير لمساعدتها".³

لقد علّم الله عزّ وجلّ نبيّه ورسوله موشيه أمرًا عظيمًا، وهو أنّ التحدّي الحقيقي لا يكمن في نيل الحرّيّة، بل في الحفاظ عليها، وفي إبقاء روحها حيّة في قلوب الأجيال القادمة. ولا يمكن تحقيق ذلك إلا عبر عمليّة مستمرة من التعليم. وعمليّة التعليم هذه لا يمكن تفويضها إلى المعلمين والمدارس وحدهم؛ بل لا بدّ أن تقوم بها الأسرة أيضًا داخل البيت، بالتزام مقدّس ينبع من الواجب الديني. ولم يُدرك أحد هذه الحقيقة بوضوح كما أدركها نبيّ الله ورسوله موشيه، ولولاه، ولولا ما علّمنا إياه من تعاليم التوراة التي أنزلها الله عزّ وجلّ عليه، لما بقي اليهود ولا بقيت اليهوديّة.

ما يجعل القادة عظماء حقًا هو أنّ تفكيرهم منصبّ على المستقبل؛ فهم لا يقلقون بشأن الغد القريب، بل بشأن العام القادم، أو العقد القادم، أو الجيل القادم. وفي واحدة من أروع خطبه، تحدّث روبرت فرانسيس كينيدي — السياسيّ الأمريكيّ البارز، والسيناتور المعروف، وأحد أبرز وجوه الدفاع عن الحقوق المدنيّة في ستينيات القرن الماضي، وشقيق الرئيس جون ف. كينيدي، وقد اغتيل عام 1968 — عن قدرة القادة على تغيير العالم حين يمتلكون رؤيا واضحة لمستقبل ممكن:

"يعتقد بعض الناس أنه لا يمكن لرجل واحد أو امرأة واحدة أن يفعل شيئًا أمام هذا الكمّ الهائل من مآسي العالم، أمام البؤس والجهل والظلم والعنف. ومع ذلك، انبثق عبر التاريخ العديد من أعظم الحركات الفكرية، والتي كان لها تأثير حقيقيّ على أرض الواقع، من جهود شخص واحد. فقد أطلق راهب شاب هو مارتن لوتر حركة الإصلاح البروتستانتي، ووسّع قائد شاب هو الإسكندر الأكبر إمبراطوريّة مقدونيا حتّى أقاصي الأرض، ونهضت فتاة شابة هي جان دارك لتحرير فرنسا من الاحتلال. واكتشف مُستكشف إيطاليّ شاب العالم الجديد، وأعلن توماس جيفرسون، ابن الثانية والثلاثين، أنّ جميع البشر خلُقوا متساوين. لقد قال أرخميدس: 'أعطني نقطة ارتكاز، ورافعة (عتلة) طويلة بما يكفي، وسأحرّك العالم'. هؤلاء حرّكوا العالم، ونحن أيضًا قادرون على ذلك".⁴

تُشكّل القيادة الرئويّة جوهر النسيج الذي حاكت به اليهوديّة وجودها. ففي الآية الثامنة عشرة من المقطع التاسع والعشرين من سفر الأمثال نقرأ: "بَلَا حَارُونَ"، يَفْتَى الشَّعْبُ". وكلمة "حازون" بالعبريّة تعني الرؤيا، أي ذاك التصرّو العميق للمستقبل البعيد. وفي عقلية الأنبياء، كانت الرؤيا دائمًا تتعلّق بالمستقبل البعيد. فقد قال الله عزّ وجلّ للنبيّ حزقيال، كما ورد ابتداءً من الآية الأولى وانتهاءً بالآية السادسة من المقطع الثالث والثلاثين من سفر حزقيال، إنّ النبيّ هو بمثابة الرقيب أو الحارس، ذاك الذي يصعد إلى مكانٍ مرتفع ليتمكن من رؤية الخطر القادم من بعيد، قبل أن يلاحظه من في الأسفل. وقد قال الحكماء اليهود: "من هو الحكيم؟ من يرى العواقب، أي 'هانولاد' باللغة العبرية" (تميد 32 أ).

إنّ اثنين من أعظم القادة في القرن العشرين، وهما ونستون تشرشل ودافيد بن غوريون، كانا أيضًا من أعظم المؤرّخين. ومن خلال معرفتهما العميقة بالماضي، تمكّنا من توقّع المستقبل. لقد كانا مثل لاعبي الشطرنج الكبار الذين، بعد دراسة آلاف مباريات الشطرنج، يستطيعون فورًا التعرّف على الأخطار والفرص الكامنة في أيّ ترتيبٍ للقطع على الرقعة، بحيث يعرفون تمامًا ماذا سيحدث إذا حرّك اللاعب أمامهم إحدى قطعه.

3. Learned Hand, "The Spirit of Liberty," "I Am an American" Day ceremony (Central Park, New York City, May 21, 1944).

4. The Poynter Institute, *The Kennedys: America's FrontPage Family* (Kansas City, Mo.: Andrews McMeel, 2010), 112.

إذا أردت أن تكون قائدًا عظيمًا، سواء كنت رئيس وزراء أو أبًا أو أمًا ناجحين مع أولادهما، فعليك أن تجيد التفكير والتخطيط على المدى الطويل. وإياك أن تختار الطريق الأسهل لمجرد أنه طريقٌ بلا عقبات يمكنك قطعه بسرعة ويُشعرك بالرضا في اللحظة الآتية فقط، لأنك ستدفع ثمنًا باهظًا في نهاية المطاف.

كان نبي الله ورسوله موشيه أعظم القادة لأن بصيرته امتدت إلى أبعد مما استطاع أيُّ إنسانٍ آخر. لقد أدرك أنَّ التغيير الحقيقي في سلوك الإنسان هو عملُ أجيالٍ متعاقبة، وأنَّ مهمتنا الكبرى هي أن نُعلم أبناءنا، من الجيل القادم، مبادئنا ومثلنا العليا، لكي يُكملوا المسيرة التي بدأناها نحنُ اليوم. وهكذا سيتغيَّر العالم، لأننا نحنُ نغيِّرنا عبر تلك الرحلة. لقد كان نبي الله ورسوله موشيه يعرف تمامًا الحكمة القائلة: إذا كنت تُخطِّط لعامٍ واحد، فازرع الأرز، وإذا كنت تخطِّط لعقدٍ من الزمن، فازرع شجرة، أمّا إذا كنت تخطِّط للأجيال القادمة، فقم بتعليم طفلي.⁵

وحقًا، إنَّ درسَ موشيه العظيم، الذي يعود إلى ثلاثة وثلاثين قرنًا، ما زالَ حتَّى اليومَ يُلهِمنا، ويُخاطبُ أعماقَ قلوبنا.

5. A statement attributed to Confucius

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion



Facebook Twitter Instagram YouTube | RABBISACKS.ORG